



فن المقال عند الشيخ محمد الهادي الحسني وجهوده في توظيف النص القرآني والشعري

زياني سمير

ملحقة الجامعية مغنية - جامعة تلمسان -

وطنه:

لعبت الصحافة دورا هاما في ترقية النثر الجزائري الحديث، وبالخصوص فن المقال، وهي المهام التي نهض بها رجال الفكر الإصلاحي الذين تأثروا بالثقافة العربية وتراثها العربي، وبنهضتها الحديثة في شتى الميادين الثقافية والأدبية والفكرية، فأخذوا يسعون إلى تكريس اللغة العربية في كتاباتهم، ويجهدون في تعليمها للجيل الصاعد، ولم يكن هناك بدّ وهم يكتّبون ويتابرون في سبيل تحقيق هدفهم النبيل، إلا أن يجعلوا من المقال الصحفى الوسيلة المثلثة، والطريق الأصوب لربط مجتمعهم بمنابعه الصافية، ومناهله الأصيلة، ناهيك عن الدّعوة إلى إصلاح الأحوال، والعودة بالفرد الجزائري إلى رحاب مبادئه وقيمه، التي اجتهد المستعمر البغيض في طمسها.

لقد خاضت المقالة الصحفية الجزائرية في معظم الموضوعات وتعلقت بأهم الأسباب التي كانت تشغل أذهان المثقفين في الجزائر، وفي الوطن العربي بوجه عام، إذ كانت كل الموضوعات تسسيطر على أذهان الكتاب في الجزائر، بل أن اهتمامهم كان ينصب على موضوعات بعضها أكثر من سواها، ومما شاع على أقلامهم في هذه الفترة الموضوعات الاجتماعية والسياسية، الإصلاحية والتربوية وغيرها⁽¹⁾.

ولئن تغير واقع الصحافة الوطنية بعد الاستقلال، لتغير الظروف الاجتماعية والاقتصادية، فإن مساهمة كتاب المقال الجزائريين في تنوير مجتمعهم، والدفع به نحو الرقي الفكري، والسمو العقلي لم تتوقف، وهي المساهمات التي تتبّع بعلوّ كعب الكثير من المفكرين والأعلام في الجزائر، الذين ورثوا ما كان عند آبائهم من حرص على قيم المجتمع وتقافته، والإصرار على المحافظة على هويته العربية الإسلامية ، ولعلّ من أعظم ما منّ به الله على هذه الأمة وعلى هذا الشعب هو هذه الكوكبة من العلماء والمفكرين الذين وهبوا حياتهم للنهوض بهذا البلد في شتى الميادين وبخاصة في المجالين الفكري والعلمي ، ومن هاته الكوكبة نذكر الشّيخ المفکر "محمد الهادي الحسني" الذي نذر حياته لخدمة دينه ووطنه⁽²⁾ ، وهو لا يزال عاكفا إلى الآن على تربية هذا الجيل، والأخذ بيده نحو المجد والسؤدد، بفضل ما يكتبه أسبوعيا من مقالات، وما يديه من ملاحظات، وهو الرجل الذي يفتخر بانتسابه إلى تلك الجمعية العظيمة، والمدرسة الملهمة، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

1-ترجمة الشّيخ محمد الهادي الحسني:

محمد الهادي الحسني بن عبد الوهاب (المدعو محمد الصالح) ولد في الخامس من شهر سبتمبر سنة ألف وتسعمائة وسبعة وأربعين (1947/09/05)، ببني يا جيس دائرة جميلة، ولاية - جيجل، التحق بمدرسة

⁽¹⁾ ينظر، عبد المالك مرتاب، فنون النثر الأدبي في الجزائر 1931-1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م، ص 111.

⁽²⁾ مولاي مقدم، فكر الشّيخ محمد الهادي الحسني، مداخلة مقدمة في اليوم الدراسي الموسوم التحصيل المعرفي في ظل الثورات العلمية، في أبريل 2012م، جامعة الدكتور يحيى فارس المدية، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، قسم اللغة العربية وآدابها.

الحياة الابتدائية بمدينة جيجل التابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين⁽¹⁾ التي نال منها الشهادة الأهلية سنة 1965م.⁽²⁾

تابع دراسته الثانوية بثانويتي "ابن خلدون" و "عبان رمضان" بمدينة الجزائر، ثم شد الرحال إلى الكويت حيث درس بثانوية الشويخ⁽³⁾، التي نال منها شهادة الثانوية العامة(البكالوريا) سنة 1969، وبعد ذلك عاد إلى أرض الوطن حيث انتسب إلى كلية الأدب (قسم التاريخ) بجامعة الجزائر التي تخرج منها عام 1972. شغل منصب رئيس مصلحة الكتاب العربي بمديرية النشر والتوزيع بالشركة الوطنية للنشر والتوزيع(SNED)⁽⁴⁾، ثم عين رئيس قسم التراث بالمؤسسة الوطنية للكتاب (ENAL)، ثم منتدباً للدعوة بمسجد باريس، وإمام جمعة (1986-1988م).

كما عين بعد ذلك نائب مدير مكلف بالتراث بوزارة الشؤون الدينية، فمديراً للثقافة والملتقيات بالوزارة نفسها. كما شغل منصب رئيس تحرير مجلة المواقف، ثم رئيس تحرير جريدة البصائر لسان حال جمعية العلماء المسلمين.⁽⁵⁾

ولقد قدر الله عزّ وجلّ أن يكون أحد المساهمين في إعادة بعث جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فعيّن عضواً في مكتبه الوطني، مكلفاً بالثقافة والإعلام، كما ساهم في إعادة نشر جريدة "البصائر" يقول عنها: «جريدة البصائر التي خطّت الأقدار في صحيقتي أن أكون أحد الذين بعثها الله على أيديهم، وأحياناً بجهودهم وهي تستروح روح البصائر، وتقبس من نورها، وذلك لأنّني ارتويت من معين "البصائر" العذب الزلال، وغُذيت من عسّ لها المصفى، أعني مقالات إمام البلاغة فارسُها في هذا العصر، الإمام البشير الإبراهيمي».⁽⁶⁾

يعكف الشيخ محمد الهادي الحسني اليوم على التّدريس في كلية العلوم الإسلامية بالجزائر، بالإضافة إلى العمل الدعوي في المساجد والجامعات والمراكم الثقافية، والتلفزة والإذاعة حول الفكر الإسلامي وتاريخ الجزائر.

أما آثاره الفكرية والعلمية، فعلى الرغم من مناصبه الإدارية والتعليمية، فإنّ الأستاذ محمد الهادي الحسني وجّه جهوده لدراسة تاريخ الجزائر، ومتابعة الدراسات الغربية عن الإسلام، وقد صنف في ذلك كتاباً منها ما هو منشور من بينها كتاب "من وحي البصائر"، "أشعة الشروق"، وكتاب "الاحتلال الفرنسي للجزائر من خلال نصوص معاصرة"، "نجوم ورجوم"، "الإمام محمد بن علي السنوسي وحركته"، كما ساهم وشارك في جمع "آثار الإبراهيمي" خمسة أجزاء رفقة الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي، وكذلك المشاركة في جمع "آثار الإمام ابن باديس" وتصحيحها، هذا ناهيك عن مساهماته الجادة بمقالاته الراقية في صحف وجرائد مختلفة منها : المساء ، العصر، الجزائر، اليوم، الشروق العربي، الشروق اليومي.

2- المقالة الصحفية عند محمد الهادي الحسني وأبعادها:

لقد عرف الشيخ محمد الهادي الحسني خطورة فن المقال، وتأثيره في المجتمع، وهو ما جعله يقرر على أنه ذلك الموجّه الرائع، والدليل الساطع الذي يقود الأمم نحو المجد، ويبعث بهم نحو آفاق رحمة، فليس أفضل من إحياء الوعي في العقول، وبثّ الأمل في النفوس، والدفاع عن الأرض والعرض، ومن هنا كان الهادي الحسني في مقالاته أشبه بالمجادل البارع والوااعظ المؤثر له ثقافة العصر التي اختار منها الوجه الذي يخدم شعبه وأمته، حيث ييرّ سبب سلكه لهذا الضرب من الكتابة "المقالات" في كتابه "من وحي البصائر" قائلاً: «لم أكتب هذه الكلمات قتلاً للوقت، ولم أسطرها ملناً للفراغ، وإنما عصرتها من

⁽¹⁾ مدونة الأستاذ محمد الهادي الحسني الإلكترونية www.veecos.net

⁽²⁾ محمد ناصر بوجام، أبو اليقظان في الدوريات العربية، المطبعة العربية، غرداية د.ط. 1985، ص.186.

⁽³⁾ مدونة محمد الهادي الحسني.

⁽⁴⁾ محمد ناصر بوجام، أبو اليقظان في الدوريات العربية، ص186.

⁽⁵⁾ مدونة محمد الهادي الحسني.

⁽⁶⁾ محمد الهادي الحسني، من وحي البصائر، تقديم الأستاذ الدكتور محمد صالح ناصر، دار الأمة للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الرابعة، 2004، ص11.

قلبي عصراً نوداً عن أفكار، ودافعاً عن قيم، وإحياء لشيم، وجداً عن دين، وإشادة برجال، وفضحاً لخونه، وكشفاً عن مؤامرة، واعتزازاً بأمة كانت تناطح السحاب، وإن أصبحت اليوم في التراب وحثاً لها أن تعود في ملتها، لتعود سيرتها الأولى، وافتخاراً بوطن كان يرعب الإمبراطوريات، وقد التزمت فيما كتبت الموضوعية ما استطعت، وأستغفر الله فيما فيه أخطأته، وأستسمح من إليه أساءت، وفي حقه قصرت. ولقد تعمدت هذا الضرب من الكتابة، لأنني قررت أنه أكثر تأثيراً من الكتابة الأكademie التي لا يقبل عليها إلا قليلاً، وقد حدث ما توقعت، وجهل ما قدرت، فتقبل كثيراً من الناس هذه المقالات قبولاً حسناً وشجاعوني مشافهةً ومهانةً، ومكتبة على الاستمرار في هذا المنهج»⁽¹⁾.

وإذا كان الشيخ محمد الهادي الحسني يروم من خلال مقالاته في الصحفة الوطنية أن يساهم في صناعة الفرد الجزائري السليم، والذوذ على كرامته، والحفاظ على سيادته، فإنه ليس من الغريب عليه أن يخوض في العديد من المجالات والاتجاهات، والتي تناول في أغلبها أبعاداً إصلاحية، سياسية و تربوية.

أ- بعد الإصلاحي التربوي:

لقد لعبت الحركات الإصلاحية والسياسية دوراً كبيراً في اليقظة الفكرية بالجزائر مما أسهم في تعدد الأساليب وتتنوع الأشكال الأدبية، مثل المقال الذي ظهر ليعالج مشاكل سياسية ثم إصلاحية، ثم أدبية إصلاحية، بحيث يمكن أن نقول أن إيمان الكتاب بدور المقال في الحياة الفكرية الأدبية والاجتماعية قد أسهم في انتشاره وساعد في تطوره، فقد نشأ أخيراً وأولاً في أحضان الحركة الإصلاحية التي كان كتابها يصدرون عن رؤية دينية إصلاحية، وينفعون بما يكتبون ويعبرون عن مشاعرهم وأحساسهم تجاه المجتمع والحياة⁽²⁾.

وإلى حدّ ما نجد أن محمد الهادي الحسني كان ولا يزال صاحب اتجاه إصلاحي في معظم مقالاته، فالذي يقرأ له يحسبه من جيل حركة النهضة والإصلاح في القرن الماضي، ولكن أفكاره تشي به فتجعله من دعاء عصر العولمة، ولكن بإحسان، ومن فرسان عصر التكنولوجيا بجدارة وإتقان، إنه ممثل تيار الإصلاح الوسطي في الجزائر؛ إذ نجده ملتزماً في كتاباته بالقضايا الوطنية التزاماً قوياً بلغ حدّ الغلوّ، عالج فيها ماله صلة بالشعب الجزائري، ويظهر ذلك في مقالاته المختلفة في الإصلاح والسياسة، فهو يجمع بين العناية والصياغة وبين التعبير عن العاطفة والشعور المتقد، كما يجمع بين الفكرة الإصلاحية في مضمونه وبين الجمال الأدبي في تميزه. يقول عنه الدكتور أبو القاسم سعد الله: «لقد وهب الله للحسني حاسة لاقطة وشجاعة فائقة في تناول الموضوعات الحساسة بأسلوب الواقع الماهر، والدارس الاجتماعي البارع، والأديب البليغ، وإذا كان لكل كاتب خط فكري يسير على هداه، فالخط الذي سار ويسير عليه الحسني هو خط ابن باديس ومنهج جمعية العلماء، ولكن في لون جديد وتوب قشيب»⁽³⁾. كما أن المقالة الصحفية الجزائرية قد عنيت بالمواضيع التربوية عناية فائقة وأولتها من نفسها أهمية كبيرة يشهد لها هذا الاهتمام، وتأكّل العناية ما تركته بين أيدينا من فيض غزير في عدد المقالات وانتاج خصب من الأفكار.⁽⁴⁾

فمن المقالات الممتازة التي كتبها الأستاذ محمد الهادي الحسني عن اليوم العالمي للمعلم مقال "كاد المعلم أن يكون ..." والذي نشر في جريدة البصائر عام 2000م، والذي يتحدث فيه عن فضل رجال التربية والتعليم، ثم يُبين ثقل مهنة المعلم وعظمتها، لأنها مهمة الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام يقول: «إن مهنة المعلم هي أ Nigel المهن وأشرفها وكيف لا تكون كذلك وهي مهمة خير الخلق كلهم - عليه الصلاة والسلام- القائل: "إنما بعثت معلماً"»⁽⁵⁾.

⁽¹⁾المصدر السابق، ص 11.

⁽²⁾ينظر، عبد الله الرّكيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحث والدراسات العربية، ص 132، 133.

⁽³⁾مدونة الأستاذ محمد الهادي الحسني.

⁽⁴⁾ينظر، محمد ناصر، المقالة الصحفية الجزائرية نشأتها ، تطورها وأعلامها من 1930 إلى 1931، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د. ط، 1978م، ص 203.

⁽⁵⁾محمد الهادي الحسني، كاد المعلم أن يكون... ، جريدة البصائر، العدد 21 (16 أكتوبر 2000).

ثم ينتقل لذكر الظروف المادية الصعبة التي يمر بها المعلم في بلادنا، مقارنا بين المعلم وأولئك الجاهلين في طريقة كسبهم لعيشهم، فالمعلم في وطننا يعيش معيشة صعبة، بينما الجاهل يعيش حياة الترف والتمتع بالمال الكثير، رغم أنه لم يتعب في جنيه لهذا المال، والذي حاز عليه أغلب هؤلاء الأغنياء الجهلة بطرق غير شرعية. ويرجع الكاتب سبب هذا الوضع الذي يعيشه المعلم إلى رجال التربية أنفسهم الذين لم يحترموا أنفسهم ومهنتهم فكيف يحترمهم الآخرون. يقول: «وليعلم إخواننا المعلمون، أنهم معنيون، قبل غيرهم بتغيير ما بأنفسهم فيُغيرُ الله مابهم، وتتغير نظرة غيرهم إليهم، وعيدهم سعيد - رغم شقائكم». ⁽¹⁾»

بـ- البعد السياسي:

لقد استطاعت المقالة السياسية أن تلعب دورا في التأثير في نفوس الجماهير والقراء، وتحريك عواطفهم، واستطاع محمد الحسني بقلمه البديع، وخلقه الرفيع أن يُخاطب العقول والقلوب. يقول عنه الدكتور عبد الرزاق قسوم: «لقد نجح أخونا محمد الهادي الحسني في التمكين لفتح ناشتنا ومثقفينا وضمائر سياستنا بالأدلة والبراهين، على صناع المؤامرة علينا، حتى تُعدَّ العدة لشدَّ حصوننا بالداخل والخارج... وإذا كان البلاء موكلا بالمنطق فإن المؤلف الصديق محمد الهادي قد وهب في كتاباته من الملكات والمواهب ما لم يُوهب لغيره». ⁽²⁾

ومن مقالاته السياسية ما جاء في مقال له بعنوان "كلبٌ فرنسي" وهو يكشف فيه عن وقاحة أولئك السياسيين الفرنسيين، وإصابتهم بالكلب سماء بالكلب الفرنسي. فهو ينسب هذا المرض الخطير إلى فرنسا، يجعلها مُصاببة بهذا الداء، ويجعله مرض وكلبٌ خاص بها، لأنه لم يقض عليها يقول: « فهي ماتزال كما وصفها الإبراهيمي "صغرى الدول الكبرى وكبرى الدول الصغرى"، ولكن من الناحية المعنوية والأخلاقية هي دولة ميتة» ⁽³⁾. وهو في هذا يشبهها بأهل جهنم في حالهم أين يستشهد في ذلك بالأية السادسة والثلاثين من سورة فاطر قال تعالى: + لا يُفْضِي عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخْفَى عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا». ⁽⁴⁾

وهو في مقالته هذه يظهر الكثير من البغض والمُقت لفرنسا، ويجعلها من أكثر الدول وقاحة، وفسادا، بل إنه يؤكّد في كثير من المناسبات على أنها منبع كل الشرور، ولا يتواхи في تكرار أبيات للعالم المغربي محمد تقى الدين الهلالي (1893-1987):

أعادِي فرنسا ما حبَّتْ فإن مُت *** فأوصي أحبائي
يُعادُونَها بعدي
وقالوا فرنسا منْبُعُ العِلْمِ والسَّنَاءِ *** وحرية الأقوام والعدل
وقائل هذا القول يلعُنُ في السَّمَا *** ويلعن في تميم نجد⁽⁵⁾

جـ- البعد القومي:

نجد الدكتور محمد الهادي الحسني متابعا للأحداث، ومتقاولا معها بمقالاته السياسية التي تعالج مواضيع مختلفة وقضايا عربية عديدة، من ذلك مقال له تحت عنوان "ستعود فلسطين" ⁽⁶⁾ والذي يتحدث فيه بشيء من التفصيل عن تاريخ هذه الديار المقدسة، التي عاث فيها الصهاينة فسادا، ثم يبدي فيه تفاؤلاً بعودة فلسطين إلى أهلها، وأن اليهود سيعودون من حيث أتوا، لكن بتضحيّة الفلسطينيين، ودماءهم من

⁽¹⁾ المصدر نفسه.

⁽²⁾ مدونة الأستاذ محمد الهادي الحسني.

⁽³⁾ المصدر نفسه.

⁽⁴⁾ سورة فاطر، الآية 36.

⁽⁵⁾ مولاي مقدم، فكر الشيخ محمد الهادي الحسني ،ص 03.

⁽⁶⁾ محمد الهادي ،ستعود فلسطين، جريدة البصائر، العدد 1 من 22 إلى 29 ماي 2000م.

أجل هذا الهدف النبيل، لأنّ ما أخذ بالقوة لا يسترجع إلا بالقوة، يقول: «وَإِنَّا نُؤْمِنُ أَنَّ فِلَسْطِينَ لَنْ تَعُودَ إِلَى أَصْحَابِهَا عَلَى طَبْقِ مِنْ ذَهَبٍ، وَلَكِنَّهَا سَتَعُودُ بَعْدَ أَنْ يُبَدَّلَ فِي سَبِيلِهَا الْغَالِي مِنَ الرِّجَالِ، وَيُرَاقُ عَلَى سُهُولِهَا وَجَبَالِهَا الْكَرِيمُ مِنَ الدَّمَاءِ... إِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَرَوْنَ عُودَةَ فِلَسْطِينَ بَعِيدًا، وَلَكِنَّنَا نَرَاهُ قَرِيبًا، وَلَنْ يَخْلُفَ اللَّهُ وَعْدَهُ بِنَصْرٍ مِنْ يَنْصُرُهُ»⁽¹⁾.

3- تجلّيات الروح الأدبية في مقالات محمد الهادي الحسني:

إن المجموعة من المقالات التي سبق للحسني أن نشرها في "البصائر"، وفي العديد من الصحف، تعبّر بحق وصدق عن شخصية الحسني وتقديره واتجاهه، فإنّ الحسني منذ أن بدأ الكتابة قبل عشرين سنة تقريباً ظل حريصاً على ثوابته التي آمن بها، وهي الإسلام ديننا، واللغة العربية لساننا، والجزائر وطننا، ونحسب أن ذلك يعود أساساً إلى صدق إيمانه، ونقاء سيرته، واتضاح رؤيته. فكل من عرف الحسني واستمع إليه محدثاً أو محاضراً مع مقولته النقاد على أن "الأسلوب هو الرجل" تتجلى بصدق وحق في مقالاته. والصراحة التي نشير إليها ونعنيها تتجلى في أسلوب المعالجة وطريقة التحليل، فهو يقدم إليك الفكرة محور المقال بأسلوب لا تعقّد فيه ولا مناوره، ويعرض عليك موقفه مقبلاً عليك شخصيته دون التواء أو تحايل، لا يربّهه أن يكون المتحدث عنه مسؤولاً كبيراً أو صغيراً، ولا يصرفه أن تكون القضية داخلية أو خارجية، لأنّه يؤمن بأن الحق أحق أن يتبع، ولا يوحّشنه أن يسلك طريقه في الكتابة الإعلامية والصحفية انصراف عنها كثير من الصحفيين اليوم رغبة في متع أو رهبة من ضياع.⁽²⁾

أما أسلوب مقالاته فإنّ أهمّ ما يميّزها أنه بأسلوب عربيّ مبين، متأنّ بالقرآن الكريم أولاً وقبل كل شيء. ولا نعني بالتأثر هنا ما نعرفه عن بعض الكتاب من استشهاد بالأيات اقتباساً وتضميناً، ولكننا نعني به أن روح الكتابة ونسجهما ممتزج بالقرآن تركيباً للجملة، ومراعاة للتراويف الصوتية، والتوازن بين الجمل والتزامها بسلامة التعبير نحو وصراfa وبلاحة، ولا عجب في ذلك فإنّ الحسني مواظِب على كتاب الله تلاوة وتدبراً، ثم لأنّه من أخلص تلامذة أستاذ البيان العربي الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مُعْجِب بأدبه وفكرة، مُداوم على قراءة كتاباته وأثاره، لا ينصرف عنه فترة إلا ليعود إليه غائباً متدرّباً، مغترفاً مُسْتلهما، ومن ثم كان أثر الأسلوب الإبراهيمي في أسلوب الحسني قوياً ظاهراً، وهذا لا يعود إلى تقليد أو محاكاة، بقدر ما يعود إلى إعجاب شديد بالبيان العربي، ممثلاً في أحد أبرز رجالاته في عصرنا الحديث في زمان اهترأت فيه لغة الكتابة، وتهلهل عند أغلب أصحابها نسجها. وإذا فلنا الأسلوب الإبراهيمي فإنّا نعني كلّ رواد الثقافة الإسلامية التي تتبع هذا الأسلوب بتراثها المتتنوع، وجمالها الأسر، وبيانها الرافق، قرآن، وأحاديث وأمثالاً، وحكماء، وشعراء، وغير ذلك.⁽³⁾

فلا غرابة إذن أن نجده يوظف النصّ الأدبي من حين لآخر في مقالاته؛ وهذا العنوان يشير إلى مفهومين النصّ والأدب، أما النصّ فهو صيغة الكلام الأصيلة التي وردت من المؤلف فحين نقول: نصّ شعري، نقصد القصيدة كلّها أو أي جزء منها يعطي فكرة تامة، وكذلك الحال في قولنا نصّ نثري، إذ قد يكون النصّ من كتب التاريخ القديمة أو من الخطب أو من الأمثال... الخ، وعليه قد يكون مفهوم النصّ كلام المؤلف دون تحديد نوعه كأن يكون شعراً أو خطبة أو رسالة أو شرحاً أو قصّة... الخ، ثم يأتي المفهوم الثاني محدّداً للنصّ وجعله مقصوراً على الأدب بمفهومه الخاص، وبذلك تنفي في هذا الكتاب نصوصاً من كتب التاريخ والجغرافيا، والعلوم، وكتب تاريخ الأدب والنقد والبلاغة والنحو... الخ، لأنّها ليست نصوص أدبية بالمفهوم الخاص.⁽⁴⁾

ففي مقاله "المتجر الرّبيح" يوظف بيّاناً شعرياً لابن حزم الأندلسي يقول:

أنا الشّمْسُ فِي جَوَّ الْعِلُومِ مُنِيرَةٌ *** وَلَكَنْ عَيْنِي مَطْلُعِي الْغَرْبُ

⁽¹⁾ المصدر نفسه.

⁽²⁾ محمد الهادي الحسني، من وحي البصائر، ص 6-7.

⁽³⁾ المصدر نفسه، ص 8-9.

⁽⁴⁾ عبد القادر أبو شريفة، مدخل إلى تحليل النصّ الأدبي، دار الفكر، عمان، الأردن، الطبعة الرابعة ، 2008 ، ص 07.

إذ عاتب الكاتب الباحثين الجزائريين على عنایتهم بدراسة علماء المشرق، وأثارهم وإهمالهم لعلماء الجزائر وأثارهم، لذلك أورد بيّنًا لابن حزم الأندلسي الذي اشتکى بدوره إهمال الدارسين لآثاره، وعيّنه الوحيد أنه من المغرب الإسلامي⁽¹⁾.

ثم أورد أبياتاً للشيخ الإبراهيمي أرسلها إلى بعض علماء السعودية، حين رد على أولئك المتشددين الذين يمنعون الفتاة من تحصيل العلم، والاشتغال به ومنها:

وإنها إن أهمت كان الخطر ***	كان البلاء كان الفناء كان الضرُّ
* وإنها إن علمت كان وزَرْ *	أولاً فوز وجالب سوء الأثر
ومنها من الكتاب والنظر	لم تأتِ فيه آية ولا خبر
والفضليات من نسا صدر غبر	لهنَّ في العرفان ورد وصدر
وانظر هداك الله ماذا ينتظر	من أمة قد شل نصفها الخدر
ومن يقل في علمها غيّ وشرّ	فقل له: هي مع الجهل أشر ⁽²⁾

حيث يتحدث في هذه الأبيات عن وجوب العناية بتعليم المرأة وتتفقها لأن حرمها من ذلك فيه خطر على الأمة ومستقبلها، وتعليمها فيه كل الخير، والنفع لها، ثم يقول ليس هناك في القرآن أو الآثار ما يدلّ على منع المرأة من العلم، ويردّ على الذين يزعمون أنّ في تعلمها شرّ، فالشّر كل الشّر في تركها تتخطّط في ظلمات الجهل والأمية.⁽³⁾

ويستشهد في مقالٍ آخر له بعنوان "يوم في أم القرى" ببعض الأبيات للشيخ أحمد سحنون⁴ حيث يقول:

فمسجدك	الحرّ	خير	أداة *** لفك	القيود	عن	الأعبد
لقد	صنع	المسجد	المعجزات *** بإلهاضِ	مجتمعِ	مُقدَّم	
وأخرج	جيش	الغزا	الهُدَاة *** إلى	كل الله	من	مُسْتَأْسِد

⁽¹⁾ محمد الهادي الحسني ، المتجر الريبيح... جريدة الشروق اليومي، الخميس 01 ديسمبر 2011م / العدد 3490، ص 21.

* الوزر: بفتح الواو والزاي هو الملجا، والوزر: بكسر الواو وسكون الزاي هو الإثم والثقل.. مختار الصحاح: مادة: وزر.

⁽²⁾ أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام الإبراهيمي ، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، الجزء الرابع ، ص 313.

⁽³⁾ محمد الهادي الحسني ، المتجر الريبيح... ، ص 21.

⁴ - هذه الأبيات المستشهد بها هي من قصيدة ألقاها أحمد سحنون بمناسبة تدشين الشيخ العربي التبّسي لمسجد "أم القرى" يوم 20أفريل 1954.

جُلْمُدْ هنَا "الله أَكْبَرْ" يُحِيِّ صَدَاهَا الفَوَادْ ** منْ وَلْوَقْدَ مُعْتَدِلْ (١) مُسْتَعْمِرْ كُلْ الْمُهَدِّيْ ** عَلَى الْمُسْلِمْ الْنَّصْرْ هنَا

ففي هذه الأبيات ينوه الشاعر بالدور الذي لعبه هذا المسجد، فهو الوسيلة لتحرير الجزائريين من ربوة الاستبداد، والنهوض بالمجتمع للحاق بالركب الحضاري، ثم يذكر تأثير الآذان، الذي يرفع آناء الليل و أطراف النهار في إحياء قلوب الناس، وتحريك مشاعرهم لمقاومة كلّ معتدٍ أليم⁽²⁾ ثم يستشهد ببيت شعري لعرف بن ملجم الشيباني يقول فيه:
إن الثمانين وبلغتها *** قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

فهذا الشاعر يشكو ضعف سمعه لما تقدمت به السن، فهو يحتاج إلى رفع الصوت ليسمع كلام الناس، وقد أورد هذا البيت لما تحدث عن رئيس شعبة الجمعية سليمان قوقام الذي لا زال ينشط في المجال الدعوي رغم بلوغه التسعين عاماً، ولا زال يتمتع بصحته، وبسلامة عقله، وسلامة سمعه⁽³⁾. كما يستشهد الأستاذ محمد الهادي الحسني في مقالاته بالقرآن الكريم وبالآحاديث النبوية الشريفة، إذ يقول عنه الدكتور أبو القاسم سعد الله: «لقد وهب الله للحسني ذاكرة قوية يستحضر بها الآيات والأحاديث والأقوال والموافق والأمثال، فهو يكتب معتمداً على رصيد كبير من المصادر يتمثل في نصوص القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وأشعار مختلف العصور، وأمثال العرب وموافق الصحابة وعظماء التاريخ الإسلامي بل والتاريخ البشري»⁽⁴⁾
من ذلك ما جاء في مقال له بعنوان "باب بوليتيكي" عند ذكره للأية الثالثة والسبعين والأربعة والسبعين من سورة الحج يقول: «لقد وردت كلمة الباب في القرآن الكريم مررتين، وفي ذلك قوله سبحانه وتعالى⁽⁵⁾: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمْعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا دَبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْتَلْبِهُمُ الْدَّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِدُوهُ مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ . مَا قَدْرُوا اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ)»⁽⁶⁾.
وأيضاً في مقال آخر له يذكر الآية السابعة والأربعين من سورة ياسين، ويستشهد بها في حديثه عن أولئك الفتنة من الناس الذين تحجرت قلوبهم، وأصبحت في قساوتها كقصوة الحجارة أو أشد يقول: «ولقد تحدث القرآن الكريم عن بعض هؤلاء الذين تحجرت قلوبهم، وتختبئ أحاسيسهم، وماتت مشاعرهم، فوصف بعضهم بأنهم لا يطمعون الطعام، ومنهم من يبرر ذلك بقوله كما جاء في القرآن الكريم⁽⁷⁾: (أَنْطَعْمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمْهُ)»⁽⁸⁾.

وفي مقال آخر له بعنوان "صاحب الخاتم" يورد قوله لرسول صلى الله عليه وسلم عند حديثه عن أولئك الذين تتکروا لجريدة البصائر بعدما أخرجتهم من ظلام الظلال إلى نور الهدى، ومن ظلام الجهل إلى نور العلم، ومن عجمة اللسان إلى فصاحة العربية يقول: «ألا يعلم هؤلاء البخلاء ما قاله رسول الله

(١) محمد الهادي الحسني، يوم في أم القرى، جريدة الشروق اليومي، الخميس 08 مارس 2012م، العدد 3588.

(٢) المصدر السابق

(٣) المصدر نفسه.

(٤) مدونة الأستاذ محمد الهادي الحسني.

^٥- سورة الحج، الآيتين: 73-74.

(٦) محمد الهادي الحسني، ذباب بوليتيكي، جريدة الشروق، الخميس 17 ماي 2012 / 25 جمادى الثاني 1433هـ ، ص15.

^٧- سورة يس الآية 47.

(٨) محمد الهادي الحسني، لا يطمعون... ولا يحضرون.... ويعنون، جريدة البصائر، العدد 80 من 21 إلى 28 جانفي، 2002م.

صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَمْثَالِهِمْ؟ إِنْ كَانُوا لَا يَعْلَمُونَ فَلَيُسْمِحُوا لَنَا أَنْ نُعْلَمَهُمْ، وَإِنْ كَانُ يَعْلَمُونَ فَلَيُذَانِوْنا
لَنَا أَنْ نُذَكِّرُهُمْ، فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ التَّرمِذِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ السَّخِيْرَيْ فَرِيْبَ مِنَ
اللَّهِ، فَرِيْبَ مِنَ النَّاسِ، فَرِيْبَ مِنَ الْجَنَّةِ، بَعِيْدٌ مِنَ النَّارِ، وَإِنَّ الْبَخِيلَ بَعِيْدٌ مِنَ اللَّهِ ، بَعِيْدٌ مِنَ النَّاسِ، بَعِيْدٌ
مِنَ الْجَنَّةِ، وَجَاهَلَ سَخِيْرٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ اللَّهُ مِنْ عَالَمٍ بَخِيلٍ»⁽¹⁾.

كما نجده يوظف المثل الشعبي القائل "المُجَرَّبُ خَيْرٌ مِنَ الْمُتَعَلِّمِ"⁽²⁾ في مقال آخر يتحدث فيه عن سبب أزمة الجزائر، والتي أرجعها لأخلاق المسؤولين، وجهل من يسير شؤونها.

ختاماً وبعد كل ما تقدم جاز لنا القول أنّ الشيخ محمد الهادي الحسني كتب المقالة الصحفية ببراعة أسلوبية وأدبية منقطعة النظير، حيث منحه الله قوّة القلم، ورجاحة العقل، فأمدنا بكتابات باللغة العميق والأثر، في نفوسنا، فكان بمثابة الواقع الاجتماعي، والأديب البليغ، إذ استطاع أن يزيل الغموض عن كثير من القضايا، خاصة ما تعلق منها بالاستعمار الفرنسي ممثلاً في محاولاته طمس الهوية الوطنية ماضياً وحاضراً.

الخاتمة:

إنّ ما مضى من الدراسة في هذا البحث حول فن المقال الصحفى عند الشيخ محمد الهادى الحسنى، قد أفرز بعض النتائج نجملها فيما يلى:

- يُعد الأستاذ محمد الهادي الحسني كاتب مقال متميز و بارع، بحيث إنّ مقالاته تعبّر بحق وصدق عن شخصيته، وتفكيره، واتجاهه، حيث حافظ بكتاباته على ثوابته الدينية والوطنية التي آمن بها "الإسلام ديننا ولغة العربية لساننا، والجزائر وطننا".

- محمد الهادي الحسني من الرجال القلائل في الجزائر الذين بقوا على العهد في كشف دسائس الاستعمار الفرنسي، ومحاربتها من خلال كتاباته الهدافـة التي تعتمد على الأدلة والبراهين، إذ ظل وفيأـا للوطن، والأقيم، والأصدقاء، والسلف ، مما يعكس شخصيته القرية التي جعلته يكتب مقالات صحفية متميزة، ليست كالتي يكتبها الآخرون.

- أسلوبه أسلوب عربي مبين، متاثر بالقرآن الكريم، جعله يحافظ على اللغة العربية ويدافع عنها. كما اعتمد الهادي الحسني على توظيف النص الأدبي في مقالاته، مما أضفى عليها جمالاً أدبياً وفنياً، ناهيك عن تميّزها بالإيجاز والبعد عن التفصيلات المملة مع إثبات الفكرة، وتحديد الهدف.

قائمة المصادر والمراجع:

© القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

الكتاب

¹- أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام الإبراهيمي ، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، الجزء الرابع.
²- عبد القادر أبو شريفة، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، دار الفكر، عمان، الأردن، الطبعة الرابعة ،

م 2008

³ عبد الله الركبي، تطور النثر الجزائري الحديث، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد

⁴ عبد المالك مرтаض، فنون النثر الأدبي في الجزائر 1931-1954، ديوان المطبوعات الجامعية، البحوث والدراسات العربية.

الجزائر، 1983م. - نسخة المكتبة العامة - نسخة المكتبة العامة

⁵- محمد ناصر، المقالة الصحفية الجراثيمية تناهياً ، تطورها واعلامها من 1930 إلى 1931، السركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 1978م.

محمد ناصر بوجام، أبو اليغطس في الدوريات العربية ، المطبعة العربية، عزّاداً، د.ب.ص. ١٩٨٥م.

⁽¹⁾ محمد الهادي الحسني، صاحبة الخاتم، جريدة البصائر، العدد 89 من 25 مارس إلى 01 أبريل 2002م.

⁽²⁾ محمد الهادي الحسني، عذر أقبح من ذنب، البصائر 18- 25 جوان 2001م.

-⁷ محمد الهادي الحسني، من وحي البصائر، تقديم الأستاذ الدكتور محمد صالح ناصر، دار الأمة للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الرابعة، 2004م.

الجرائد:

-¹ محمد الهادي الحسني، ذباب بوليتكي، جريدة الشروق، الخميس 17 ماي 2012 / 25 جمادى الثاني 1433هـ.

-² محمد الهادي الحسني، ستعود فلسطين، جريدة البصائر، العدد 1 من 22 إلى 29 ماي 2000م.

-³ محمد الهادي الحسني، صاحبة الخاتم، جريدة البصائر، العدد 89 من 25 مارس إلى 01 أبريل 2002م.

-⁴ محمد الهادي الحسني، عذر أقبح من ذنب، البصائر 18 - 25 جوان 2001م.

-⁵ محمد الهادي الحسني، كاد المعلم أن يكون... ، جريدة البصائر، العدد 21 (16 أكتوبر 2000).

-⁶ محمد الهادي الحسني، لا يطمعون... ولا يحضّون.... وينعون، جريدة البصائر، العدد 80 من 21 إلى 28 جانفي، 2002م.

-⁷ محمد الهادي الحسني ، المتجر الريّح... جريدة الشروق اليومي، الخميس 01 ديسمبر 2011م العدد 3490.

-⁸ محمد الهادي الحسني، يوم في أم القرى، جريدة الشروق اليومي، الخميس 08 مارس 2012، العدد 3588.

المقتنيات:

⁽¹⁾ مولاي مقدم، فكر الشيخ محمد الهادي الحسني، مداخلة مقدمة في اليوم الدراسي الموسوم التحصيل المعرفي في ظل الثورات العلمية، في أبريل 2012م، جامعة الدكتور يحيى فارس المدية، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، قسم اللغة العربية وأدابها.

الموقع الإلكترونية:

⁽¹⁾ مدونة الأستاذ محمد الهادي الحسني الإلكترونية www.veecos.net